ورقة بن نوفل بين النصرانية والإسلام

د. ياسر أحمد نور

كلية التربية، جامعة المنصورة، مصر

تعاظم الجدل في الآونة الأخيرة بشأن شخصية ورقة بن نوفل، حتى غلب عليه طابع الخطاب السجالي فحاد به عن الموضوعيه . وتمحور هذا الجدل حول قضية صلة ورقة بالرسول ﷺ، حيث ادعت آراء بتواجد علاقة دينية معرفية جمعت بينهما، لعب فيها ورقة دور الأستاذ ومثّل فيها النبي محمد ﷺ دور التلميذ الذي تلقى عن أستاذه أصول عقيدة الإسلام وشريعته. وآراء أخرى نفت هذه العلاقة كلية وعدتها افتراءات لا أصل لها.

ونظرا لخطورة وأهمية ما يثار حول ورقة من قضايا ، كان لابد من دراسة تطمح في بيان الأبعاد الحقيقية لهذه الشخصية وإزالة ما يتعلق بها من شبهات. وقبل ولوج هذا الموضوع بدا من المستحسن تقرير ثلاث حقائق هامة خلصنا إليها بعد فحص المادة التاريخية المجموعة من بطون المظان والمصادر وهي:

أولا : استئثار المصادر العربية الإسلامية دون المصادر المسيحية بالمادة التاريخية المتعلقة بهذه الشخصية، فالأخيرة لا ذكرْ فيها مطلقا لورقة بن نوفل ، بدليل أن الدارسين المسيحيين – فضلا عن المستشرقين – الذين تعرضوا لهذه الشخصية ، كان مرجعيتهم في دراستها المصادر العربية الإسلامية وليست المسيحية[1] .

---

[1] يرى أبو موسى الحريري – ويوافقه عزت أندراوس – أن تاريخ القس ورقة بن نوفل وفرع عبد العزى أهمله أصحاب السير المحمدية ، ولا بد أن هذا الإهمال مقصود وذلك بسبب اعتناقهم النصرانية.. والحقيقة أن القول بأن ثمة مؤامرة نسج خيوطها المؤرخون المسلمون وكتّاب سيرة الرسول ﷺ بقصد التعتيم على شخصية ورقة وفرع عائلة عبد العزى لاعتناقهم النصرانية، ادعاء لا دليل عليه، وإذا كان مناط الاستدلال على ذلك قلة المادة التاريخية، فللمؤرخين المسلمين عذرهم في هذا الأمر وذلك للفاصل الزمني الكبير بينهم وبين هذه الحقبة، وهذا الإشكال لم يكن خاصا فقط بتاريخ ورقة وعائلته، بل سرى على تاريخ النبي ﷺ نفسه في هذه الفترة، حيث ما زلنا نجهل الكثير عن حياة الرسول قبل البعثة كطريقة تنشئته وفترة شبابه وحياته الخاصة مع السيدة خديجة (رضي الله عنها) وأبنائه ...الخ ، ويمكننا الوقوف على ذلك إذا ما قارنا حجم المادة التاريخية المتعلقة بحياة الرسول ﷺ في كتب السيرة قبل البعثة بما كتب عنها بعد البعثة إذ سيلحظ أن حياته بعد البعثة استحوذت على جل اهتمام المادة التاريخية على الرغم من أن ثلثي عمره قضاه قبل بعثته ، فهل يعد ذلك مؤامرة حاكها المؤرخون المسلمون ضد تاريخ النبي ﷺ ؟، والجدير بالذكر أن هذه الحقيقة وعاها وأقر بها غير واحد من

ثانيا : الندرة الشديدة للمادة المصدرية المتعلقة بحياة ورقة قبيل الإسلام ، الأمر الـــذي جعل منه شخصية ملغزة مبهمة الملامح في العديد من الجوانب .

ثالثا : تمحور جُل الروايات الخاصة بورقة بن نوفل حول موضوعين رئيسين: الأول، علاقة ورقة بالنصرانية؛ والثاني يتصل بعلاقته بالرسول ﷺ إبان إرهاصات نزول الوحي عليه بغار حراء .

وبناء على هذه المعطيات جاءت معالجة قضايا وإشكالات هذه الدراسة تحت عنـــوان " **ورقة بن نوفل بين النصرانية والإسلام** "

أولا: علاقة ورقة بن نوفل بالنصرانية

في هذا المقام سيُعنى ببيان الظروف والملابسات التي أفضت إلى اعتناق ورقـــة بـــن نوفل للنصرانية ، والتعرف عن ماهية المذهب الذي على أساسه جاء اعتناقه لها ، وكذا اللغـــة التي من خلالها اتصل ورقة بمعارف هذه الديانة ، هذا فضلا عن بيان حقيقة موقفه من التبشير بالنصرانية في مكة .

أما فيما يخص مسألة ملابسات اعتناق ورقة للنصرانية، فقد روى الطبراني[٢] عن سعيد بن زيد قال:" **خرج ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو يطلبان الدين حتى مرا بالشام فأما ورقـــة**

المستشرقين أبرزهم (ول ديورانت). أضف إلى ذلك أنه لم يثبت تاريخيا أن جميع فرع عبـــد العـــزى اعتنـــق النصرانية ، اللهم إلا ورقة بن نوفل الذي اعتنقها في ظروف وملابسات خاصة بيناها في المتن ، وكذا عثمـــان بن الحويرث كما ذكر ذلك اليعقوبي. ومن ناحية أخرى لماذا لا يلقي أندراوس باللائمة على المصادر المـــسيحية لإغفالها شخصية بهذا الثقل الديني في مكة مركز النصرانية في جزيرة العرب – حسب زعمه –، ألا يعد ذلـــك قصورا بل مؤامرة أكبر من مؤامرة المؤرخين المسلمين للتعتيم على تاريخ ورقة على افتراض أنهـــا مـــؤامرة؟! انظر تاريخ اليعقوبي (بيروت: دار صادر ، د.ت.)، ج١، ص٢٥٧. أبـــو موســـى الحريـــري : قـــس ونبـــي http://www.servant13.net/qis/warqa1.htm . عزت أندراوس: النـــصرانية فـــي الجزيـــرة العربيـــة http://www.coptichistory.org/new_page_341.htm . ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١)، ج١٣، ص ٢٢.

[٢] أبو القاسم الطبراني: المعجم الكبير ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي (ط٢؛ الموصل : مكتبة العلوم والحكـــم ، ١٤٠٤– ١٩٨٣)، ج١، ص١٥. وقد ذكر محمد بن عبد الواحد المقدسي أن أبا داود الطيالسي روى هذه الرواية في مسنده بإسناد حسن. أنظر المقدسي : الأحاديث المختارة ، تحقيق عبد الملك الدويش (ط١؛ مكتبة المكرمـــة:

فتنصر، وأما زيد فقيل له: إن الذي تطلب أمامك، فانطلق حتى أتى الموصل فإذا هو براهب، فقال : من أين أقبل صاحب الرحلة؟ قال: من بيت إبراهيم. قال: ما تطلب؟ قال: الدين، فعرض عليه النصرانية فأبى أن يقبل..."

غير أن ابن إسحاق[٣]أورد في هذا الشأن تفاصيل هامة ، حيث ذكر أن قريشا اجتمعت " يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم... فخلص منهم أربعة نفر نجيا ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض ، قالوا : أجل، وهم : ورقة بن نوفل ، وعبيد الله بن جحش ، وعثمان بن الحويرث، وزيد بن عمرو بن نفيل، فقال بعضهم لبعض: تعلمون والله ما قومكم على شيء لقد أخطئوا دين أبيهم إبراهيم ، ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ، يا قوم التمسوا لأنفسكم دينا، فإنكم والله ما أنتم على شيء ، فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم . فأما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها حتى علم علما من أهل الكتاب، وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فلما قدمها تنصر وفارق الإسلام حتى هلك هناك نصرانيا ...وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم ، فتنصر وحسنت منزلته عنده . وأما زيد بن عمرو بن نفيل فتوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان ، ونهى عن قتل الموءودة ، وقال : أعبد رب إبراهيم، وبادى قومه بعيب ما هم عليه ".

وفي ضوء قراءة النصين يتبين أن ورقة ورفاقه أدركوا حقيقة ما هم عليه من فساد الدين والمعتقد ، وأن ما مارسه أهل مكة من طقوس في العبادة تجافي الحنيفية التي جاء بها إبراهيم عليه السلام ، الأمر دفع بهم جميعا للبحث عن هذا الدين بعدما اندرست معالمه بفعل عمرو بن لحي[4] وبمن جاء بعده حتى انزوت بمرور الوقت عن حياة العرب .

مكتبة النهضة الحديثة، ١٤١٠)، ج٣، ص٣٠٩؛ أبو داود الطيالسي: المسند (بيروت: دار المعرفة، د.ت.)، ج١، ص٣٢.

[3] عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي، د.ت.) ج١، ص ٢٢٢- ٢٢٣.

[4] أخبر النبي ﷺ أن عمرا هو أول من بدل دين إسماعيل. انظر: محمد بن إسماعيل البخاري : صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا (ط٣؛ بيروت: دار ابن كثير ، ١٤٠٧- ١٩٨٧)، ج١، ص٤٠٦؛ محمد ابن عبد الله

وعلى هذا ساح ورقة بن نوفل ورفاقه في البلدان يلتمسون سبيلا يهتدون به إلي شريعة الحنيفية، ويبدو أن رحلة البحث كانت شاقة ومضنية بدليل أنها تجاوزت نطاق الجزيرة العربية إلى بلاد الشام والتي كانت نهاية المطاف حيث تحددت على إثرها مواقف الجميع . فأما ورقة فآل أمره إلى أن ارتضى النصرانية دينا ، ليس هذا فحسب بل تعمق في دراسة شريعتها ومعارفها حتى وصفه النص بكونه " استحكم في النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها حتى علم علما من أهل الكتاب " .

وهنا ننفصل بورقة عن رفاقه لنتساءل بشأنه: لماذا فضّل ورقة النصرانية وارتضاها دينا من دون اليهودية[٥] على الرغم من اتصاله بها ؟ فقدر روى الطبري[٦] من طريق ابن إسحاق أن ورقة "...سمع من أهل التوراة...".

ويغلب على الظن أن السبب في ذلك يرجع إلى النزعة الشعوبية العنصرية التي أحاطت بالعقيدة اليهودية بفعل توجيه التوراة[٧]. حتى أن باحثا يهوديا أكد أنه محظور على اليهود نشر الديانة اليهودية بين غير اليهود[٨]. وأمر كهذا ربما مثّل عامل نفور لورقة فحال بينه وبين اعتناقه لها ، وعلى هذا كانت النصرانية بالنسبة له " أقرب من دين اليهود..." كما يقول ابن كثير[٩].

الحاكم : المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١١-١٩٩٠)، ج٤، ص٦٤٧؛ سيرة ابن هشام، ج١، ص٢٠٢.

٥ يزعم أندراوس : أن ورقة كان على دين موسى في مبدأ الأمر ، ثم صار على دين عيسى، وأحال هذه المعلومة إلى السيرة النبوية لابن هشام ، وبعد البحث عن النص في سيرة ابن هشام لم نجد له أثرا ، مما يعني أنها من اختلاق الكاتب. انظر: النصرانية .
http://www.coptichistory.org/new_page_341.htm

6 تاريخ الرسل والملوك، (ط١؛ بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧)، ج١، ص ٥٣٣.

7 اعتبرت التوراة الشخصية اليهودية هي المصطفاة لدى الله حيث فضلها على العالمين ، فجاء فيها " وقد اختارك الرب لكي تكون له شعبا خالصا فوق جميع الشعوب التي على وجه الأرض " سفر التثنية / إصحاح ١٤.

8 إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهودية في الجاهلية وصدر الإسلام (ط٢؛ القاهرة : لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٢٧)، ص٧٢.

9 ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (ط١؛ القاهرة: دار الريان للتراث، ١٤٠٨-١٩٨٨) ج١، ص٢٩.

ولعل مقتضى المقام يدعونا قبل الانتقال إلى نقطة أخرى أن نناقش ما رآه ا.د. حسين مؤنس[١٠]، حيث شكك في نصرانية ورقة مدعيا أن خديجة (رضى الله عنها) اتجهت إلى ورقة دون سواه لكونها تعرف أنه لم يكن يهوديا ولا نصرانيا . وقد تبنى هذا الرأي باحث آخر وكان مناط استدلاله أن ورقة لو كان نصرانيا لما بشَّر النبي ﷺ بالرسالة ، لأن المعتقد في المسيحية يقوم على انتهاء دور النبوة في التاريخ الديني للبشرية بتجسد الله في ذات المسيح[١١] .

والحقيقة إن كلا الرأيين فيه نظر ، لكونهما يخالفا صراحة الحقيقة التاريخية التي تقرر بأن ورقة بن نوفل كان على النصرانية حين التقى به النبي ﷺ . أما الاستدلال بعقيدة التجسد للتشكيك في نصرانية ورقة ، فقد يكون قرينة مقبولة لو أن ورقة كان معتنقا للنصرانية على اعتقاد التثليث ، ولكن الدارسة ستثبت خلاف ذلك فيما يلي ، وعلى هذا فهو استدلال لا يصلح لإثبات هذا الزعم .

والآن ننتقل إلى القضية الثانية التي تتعلق بكيفية اتصال ورقة معرفيا بالنصرانية. فمما يبدو من النصوص أن اتصال ورقة بالنصرانية ومعارفها تسنى له من خلال لغة أخرى غير العربية[١٢] ، غير أن هذا الاستنتاج يحكم بأن تعلُّم ورقة بن نوفل لهذه اللغة أتى كمرحلة تالية بعد اتصاله بالرهبان ورجال الدين المسيحي ببلاد الشام ، حيث من المفترض أنه عن طريقهم اعتنق النصرانية ، ومن خلالهم أيضا تعلَّم هذه اللغة – غير العربية – التي سنحاول الكشف عن ماهيتها فيما يلي . ومن المرجح أن هذه اللغة هي التي دونت بها نسخة الإنجيل التي كانت بحوزته والتي كان يترجم منها بمكة إلى العربية سواء كتابة أو قراءة .

ولكن إذا ما أُعمل النظر في النصوص سيُلاحظ اضطرابها بشأن تحديد ماهية هذه اللغة، حيث جاءت غالب العبارات فيها على النحو التالي– أو ما شابه – " وكان يكتب الكتاب

---

[10] دراسات في السيرة النبوية، (ط٢ ؛ القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ، ١٩٨٥)، ص ١٠٥.

[11] لخضر الشايب : نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، (ط١؛ الرياض : مكتبة العبيكان، ١٤٢٢، ٢٠٠٢) ص٤٤٧– ٤٤٨.

[12] وأورد ابن إسحاق من رواية يونس بن بكير عنه : أن الإنجيل لم يكن المصدر الوحيد الذي درس من خلاله النصرانية ، بل اجتهد في جمع المصنفات المتعلقة بمعارف وآداب هذه الديانة وتعمق في دراستها، ولعل هذا ما يبدو من وصف نص ابن إسحاق " وحصّل الكتب وعلم علما كثيرا ". الذهبي : سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي، (ط٩ ؛ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣)، ج١، ص١٢٧.

العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب "[١٣] **" ، " وكان رجلا تنصر يقرأ الإنجيل بالعربية "**[١٤]. لكن رواية البخاري[١٥]جاءت بزيادة أخرى مغايرة حيث تشير إلى أن ورقة كان يترجم عن نسخة الإنجيل التي كانت بحوزته إلى العبرانية ، وفيها يقول " **وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب** ".

إذن هناك اتجاهان للنصوص في هذه المسألة، الأول : ذهب إلى أن ورقة كان يترجم من لغة غير عربية إلى العربية ، أما الاتجاه الثاني فيشير إلى أن ورقة كان يترجم من تلك اللغة غير العربية إلى العبرانية وليست العربية. وإذا ما سلمنا جدلا بصحة الاتجاهين فهذا يعني أن ورقة أجاد معرفة لغتين أجنبيتين بجانب العربية وهما: العبرانية ، ولغة أخرى مجهولة لم تكشف عنها النصوص وهي التي دُونت بها نسخة الإنجيل التي كانت بحوزته ، وهو أمر يصعب قبوله .

وعلى هذا فهناك اضطراب ظاهر في الروايات بشأن هذه المسألة. وقد فطن النووي[١٦] إلى هذا الاضطراب فقام بإجراء توفيقي للجمع بين كلا الاتجاهين فقال :" **وكلاهما صحيح ؛ وحاصلهما أنه تمكن من معرفة دين النصارى بحيث إنه صار يتصرف في الإنجيل، فيكتب أي موضع شاء منه بالعبرانية إن شاء وبالعربية إن شاء** " .

لكن هذا الإجراء التوفيقي الذي اضطلع به النووي لم يستوعب هذا الاضطراب الحاصل في الروايات ، بل لا يصمد أمام قرينة هامة ؛ وهي أن جميع هذه النصوص خرجت عن مصدر واحد وهو السيدة عائشة (رضي الله عنها) ، وذلك في مقام حديثها عن إرهاصات نزول الوحي على النبي ﷺ ، وعلى هذا فمن غير المنطقي ذكرها أن ورقة كتب عن الإنجيل بالعبرانية ، ثم تروي مرة أخرى أنه كتب عنه بالعربية . ولمَّا كانت السيدة عائشة (رضي الله

---

[13] صحيح البخاري، ج١ ، ص ٢١٨ ؛ مسلم بن حجاج القشيري: صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ب.ت) ج١ ، ص١٤١ .

[14] صحيح البخاري، ج٣، ص ١٢٤١؛ مسند أحمد، (القاهرة: مؤسسة قرطبة، د.ت)، ج٥ ،ص ٢٢٣ ؛ أحمد ابن الحسن البيهقي: السنن الكبرى، (مكة المكرمة: مكتبة دار الباز ، ١٤١٤/ ١٩٩٤)، ج٩ ،ص٥ .

[15] صحيح البخاري، ج١، ص٤.

[16] صحيح مسلم بشرح النووي، (ط ٢؛ بيروت: دار إحياء التراث العربي،١٣٩٢)، ج٢ ، ص٢٠٢.

عنها) لم تلق ورقة لكونها ولدت بعد المبعث بأربع سنوات أو خمس[١٧] ، أي بعد وفاته ، فهي إذن تتحدث عن فترة لم تدركها ، وربما اختلط الأمر عليها فنتج عن روايتها هذا الاضطراب[١٨] ، وإن كان المرجح أن يكون هذا الاختلاف بدر نتيجة تصحيف صدر عن أحد الرواة الذين نقلوا هذه الرواية عنها ، فأورد لفظ " العبراني " أو " العبرانية " مصحفا عن كلمة " العربي " أو " العربية ".

وبناء على ذلك يترجح الاتجاه الثاني للروايات والذي ذهب إلى أن ورقة كان ينقل من الإنجيل إلى العربية ، وذلك لجملة أسباب منها :

أولا : أن هذا الاتجاه هو الذي أقرته غالب الروايات التي عرضت لها المصادر .

ثانيا : إن قيام ورقة بالترجمة إلى العربية أمر له ما يبرره ، على اعتبار أن العربية – وليست العبرية – هي أصل لسانه وثقافته ، ومن ثم فعندما يترجم من الإنجيل إلى العربية طلبا للمعرفة فهو أمر يتماشى ومنطق العقل ، على عكس الترجمة إلى العبرية .

ثالثا : لم يكن هناك دافع يدعو ورقة لأن يضطلع بالترجمة من الإنجيل إلى العبرية، حيث لم يكن يتواجد بمكة جالية يهودية يمكن أن يهتم ورقة بالترجمة لها بالعبرية من الإنجيل الذي كان بحوزته. ناهيك عن أن النصوص لم تشر إلى أن ورقة بشر بالنصرانية في مكة، أو صدرت عنه محاولات في هذا الشأن[١٩]، وهو ما يعني أن علاقته بالنصرانية لم تتعد حدود نفسه ، وأن اطلاعه على معارفها كان لأجل التثقيف الذاتي ليس أكثر .

---

[17] أحمد بن حجر العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة، (ط ؛ بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ١٣٢٨)، ج٤ ، ص ٣٥٩.

[18] نستبعد صدور هذا الاختلاف عن السيدة عائشة(رضي الله عنها) لما هو مشهور عنها الاحتراز والتثبت في قبول رواية الحديث . ولمزيد من التفاصيل في هذا الشأن انظر بدر الدين الزركشي : الإصابة فيما استدركته السيدة عائشة (رضي الله عنها) على الصحابة ، تحقيق : سعيد الأفغاني، (ط٣ ؛ بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٠/١٩٨٠).

[19] وهذا ينفي ما ذكره البعض من أن ورقة كان رئيسا لأسقفية مكة ، حيث لا يوجد نص تاريخي واحد أشار إلى تواجد أسقفية بمكة كان على رأسها ورقة ، أو أن ورقة بشر بالنصرانية في مكة ، ولو كان اضطلع بمحاولة لدعوة قريش لهذا المذهب في النصرانية لجوبه بحرب ضروس من قبل قريش ، بل سيلقى نفس المصير الذي لاقاه من قبله زيد بن عمرو بن نفيل . كما أن هذا الزعم يتهاوى أمام الدراسة المستفيضة التي أجراها هنري

إذن فصفوة القول فيما سبق أن النصوص التي ذهبت إلى أن ورقة كان يترجم كتابة وقراءة عن الإنجيل بالعربية هي الأرجح والأصح ، أما ما عداها من نصوص ففيها نظر كما تبين .

وتجدر الإشارة إلى أن ما سبق لا ينفي مطلقا معرفة ورقة بن نوفل للعبرية حيث إن ثمة شاهدين يرجحان معرفته بها ، الأول ما ورد في حديث عائشة (رضي الله عنها) السابق من حوار بين ورقة والنبي ﷺ حيث قال له عندما أخبره النبي ﷺ بما حدث في الغار :"هذا **الناموس الذي نزل على موسى يا ليتني فيها جذع** " ، والمتأمل في هذه العبارة سيلحظ أنها تشي بأطلاع ورقة على التوراة ، لأن اهتمام الأناجيل منصب بالدرجة الأولى على أحاديث ومواعظ السيد المسيح، ولا ذكر فيها لأحوال موسى عليه السلام وأخبار أنبياء بني إسرائيل حيث إن محلها العهد القديم (التوراة) كما هو معلوم .

أما الشاهد الثاني فأورده الطبري[٢٠] من طريق ابن إسحاق حيث قال: "**وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل** " ، وهذه إشارة واضحة إلى أن ورقة كان على اتصال بالتوراة . وهو ما يرجح أنه كان على دراية بالعبرانية.

ولعل سائلا يتساءل عن سبب تعلم ورقة للعبرية على الرغم من كونه لم يعتنق اليهودية؟ ربما يرجع السبب في ذلك إلى أن ورقة في مرحلة بحثه عن الحنيفية – قبل أن يرتضي النصرانية دينا – اضطلع بمحاولات للتعرّف على اليهودية فتعلّم العبرية ليتسنى له البحث فيها .

يبقى في هذا الصدد تحديد نوعية اللغة التي كُتب بها إنجيل ورقة ، والتي أتقنها ليحصل له في النهاية ترجمتها إلى العربية قراءة وكتابة...في الواقع تجمع النصوص على أن الشام كانت الموطن الذي اعتنق فيه ورقة النصرانية واتصل من خلاله بمعارفها. والثابت تاريخيا أن السريانية المشتقة عن الآرامية كانت هي اللغة المنتشرة بين الشعب المسيحي في سوريا وبلاد

لامنس عن جذور المسيحية بمكة، حيث أثبت من خلالها أن جل من اعتنقها كانوا من الأجانب ما عدا حالات نادرة من أهل مكة. انظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١، ص ١٢٦ ؛ عزت أندراوس : النصرانية http://www.coptichistory.org/new_page_341.htm .

H .Lammens *Étude sur régne du calife Omayade Moawia I^er^ . Mélanges de la faculté de Beyrouth*, pp. 1- 108.

[20] تاريخ الطبري، ج١ ، ص ٥٣٣.

ما بين النهرين وخاصة " الرها " التي اعتبرت مركزا لهذه اللغة وآدابها [٢١]، وعلى هذا يرجح أن السريانية كانت هي اللغة الأجنبية التي تعلمها وأتقنها ورقة ببلاد الشام، وبهـا تعمـق فـي دراسة النصرانية، كما يرجح أيضا أن تكون السريانية هي اللغة التي دونت بها نسخة الإنجيل التي كانت بحوزته وترجم عنها إلى العربية وليست العبرية[٢٢].

ننتقل بعد ذلك إلى بيان قضية أخرى، وتتعلق بماهية العقيدة أو نوعية المذهب الذي من خلاله اعتنق ورقة بن نوفل النصرانية. فهل اعتنقها على اعتقاد التثليث ؟ أم علـى الاعتقـاد القائل ببشرية المسيح ؟

في واقع الأمر يصعب التسليم بصحة فرضية أن اعتناق ورقة للنصرانية كان مؤسـسا على اعتقاد التثليث، بل نطمئن إلى استبعاد هذه الفرضية بالكلية ، لأن ورقة كما تبين – فـي ضوء رواية ابن إسحاق والطيالسي– خرج من مكة وهو تسيطر عليه عقيدة الرفض المطلـق لصور التعددية لذات الله ، بعدما لفظت فطرته مظاهر الشرك التي أحاطـت بـدين إبـراهيم بجزيرة العرب، وكان هذا هو الدافع لخروجه باحثا في البلاد عن شريعة هذا الدين . إذن فمن المستبعد أن يتقبل النصرانية في صورتها القائمة على التثليث . ومما يؤكد ذلك أبيات الرثـاء التي نعي فيها ورقة بن نوفل زيد بن عمرو بن نفيل لما وافته المنية ، فقال :

" رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما تجنبت تنـورا مـن النار حـاميا
بدينـك ربـا ليـس رب كمثـله وتركك أوثان الطواغي كما هـيا
وإدراكك الـدين الذي قـد طلبته ولم تك عن توحيد ربـك ساهـيا
فأصبحت في دار كـريم مـقامها تعلـل فيـها بالكـرامـة لاهـيا
تلاقي خليل الله فيـها ولـم تكن من الناس جبارا إلى النار هاويـا
وقد تدرك الإنسان رحـمة ربـه ولو كان تحت الأرض سبعين واديا

---

[21] ديلاسي أوليري : علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب ، ترجمة وهيب كامل ، مراجعة زكي علي (القـاهرة: مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢) ص١٠؛ جواد علي: المفصل في تاريخ العـرب قبـل الإسـلام (بغـداد : منشورات الشريف الرضي ، د.ت) ج٦ ، ص٦٢٧.

[22] يذكر أوليري أن العبرية كان تواجدها محدودا ببلاد الشام في ذلك الحين إذا ما قورنت بالـسريانية ، حيـث كانت منتشرة على نطاق ضيق في بعض المدن الشاطئية ببلاد الشام ، وكانت أقرب إلى الفينيقية . انظر : علوم اليونان ، ص١٠.

أقــول إذا صليت في كــل بيعة تباركت قد أكثرت باسمك داعيا " [٢٣]

وورد في هذا الشأن أيضا عن جابر بن عبد الله أن بعض الصحابة قالوا :" **يا رســول الله: أرأيت ورقة كان يستقبل القبلة ويقول: إلهي إله زيد، وديني دين زيد...**"[٢٤]

وقد يقول قائل إن هذه العبارات المفعمة بالتوحيد تدل على أن ورقة ربما غير موقفه من النصرانية فعاد حنيفيا كما بدأ . ويُرَد على ذلك بأن مقصود ورقة من هذا القول هو أن عقيدته في التوحيد كعقيدة زيد بن عمرو بن نفيل حيث نبذ كل صور الشرك والتعدد لذات الله، وهــذا ليس معناه أنه ارتد عن النصرانية أو راجع موقفه منها ، بل ظل مقيما عليها بدليل قولــه: " **أقول إذا صليت في كل بيعة...**"

إذن فالشاهد مما سبق أن عقيدة ورقة في النصرانية لم تكن لتقر إلوهيــة المــسيح أو تقبلها على النحو الذي ذهبت إليه عقيدة الملكانيين أو اليعاقبة، وبهذا يــصدق حــدس الحــافظ العراقي في :"...**أنه لم يكن متمسكا بالمبدل من النصرانية ، بل الصحيح منهــا الــذي هــو الحق...**"[٢٥]

وقد حاول البعض[٢٦] حسب هذه المعطيات أن ينسب عقيدة ورقة بن نوفل في المسيحية إلى المذهب الإبيوني، استنادا إلى أن الإبيونيين هم فئة من اليهود المتنصرين الذي لا يعترفون بإلهيته ولا ببنوته لله تعالى، بل يقولون بأنه رجل كسائر الرجال جاءه الوحي بعــد معموديتــه على يد يوحنا المعمدان. غير أن أحد الدارسين[٢٧] كفانا مؤنة البحث في هذه المــسألة، حيــث خلص إلى عدم توافر أي معلومات دقيقة عن هذه الطائفة، كما لا يُعرف أي شيء عن إنجيلها سوى مقاطع غاية في القصر نقلها بعض آباء الكنيسة المعادين لهم أصلا. هذا فضلا عن عدم وجود دليل يشير إلى استمرار تواجدهم في بلاد الشام حتى زمن ورقة.

---

[23] ابن هشام : السيرة، ج١ ، ص٢٣٢؛ الأصبهاني، دلائل النبوة، تحقيق: محمــد الحــداد (ط١؛ الريــاض: دار طيبة ، ١٤٠٩) ج١ ، ص٨١.

[24] الشيباني: الأحاد والمثاني، تحقيق: جاسم الجوابرة (ط١؛ الرياض : دار الرايــة ، ١٤١١، ١٩٩١) ج١، ص ٤٢٧.

[25] عبد الرؤف المناوي : فيض القدير، (ط١؛ مصر : المكتبة التجارية ، ب.ت) ج٦ ، ص ٤٠١.

[26] أبو موسى الحريري: قس ونبي http://www.servant13.net/qis/warqa3.htm، عزت أندراوس: محمد والعقيدة الإبيونية http://www.coptichistory.org/new_page_347.htm

[27] زياد منى : الإبيونيون وورقة بن نوفل، (بيروت : دار قدمس للتوزيع والنشر ، ٢٠٠١)

والتساؤل الذي يطرح نفسه الآن: على أي مذهب إذن جاء اعتناق ورقة للنصرانية؟

يرجح بعد البحث والاستقصاء أن ورقة بن نوفل اعتنق النصرانية على المذهب النسطوري. ولعله يحسن قبل بيان ذلك أن نعرّف في إيجاز بعقيدة هذا المذهب، ثم نقدم الأدلة والقرائن الدالة على اتصال ورقة به إبان رحلته إلى بلاد الشام.

من الثابت تاريخيا أن المذهب النسطوري بدأ في الظهور عندما تولي الراهب الأنطاكي نسطور بطريركية كنيسة القسطنطينية عام ٤٢٨ م ، وقد بدأت الإرهاصات الفكرية لهذا المذهب في الظهور عندما أنكر أخوه الراهب أنسطاس في إحدى عظاته أمام العامة إمكان إطلاق لقب والدة الإله (Theotokos) على العذراء مريم ، ذاهبا إلى أنها لم تكن سوى أمّ لعيسى الإنسان . وعندما رُفعت شكوى إلى نسطور ليستنكر هذا القول ، جاء موقفه مخيبا للآمال حيث انبرى مؤيدا ومنافحا عن مقولة أنسطاس[٢٨].

وقد أُثر عنه في هذا الشأن مجموعة مقولات أبرزها : أن مريم العذراء ولدت فقط الإنسان لأن المخلوق لا يلد الخالق ، ثم اتحد عيسى باللاهوت بعد ولادته وهو اتحاد مجازي منحه الله من خلاله المحبة ووهبه النعمة[٢٩]. ومن مقولاته أيضا في هذا الصدد :" **لن أدعو أبداً طفلاً عمره شهرين أو ثلاثة الله** "[٣٠]. وتتضح عقيدة نسطور في ذات المسيح في الرسالة الثانية التي أرسلها له الأب كيرلس لكي يثنيه عن معتقده فجاء فيها " ...**إن كنت تعتقد أنه نبي كموسى ، فما قَدِر موسى ولا أحد من الأنبياء أن يحمل خطايا العالم** "[٣١]. أما ساويرس بن المقفع[٣٢] فأوضح عقيدة نسطور بشكل أكثر جلاء فقال :"**هذا نسطور قد شتت البيعة** ...إذ قال

---

[28] أوليري : علوم اليونان ، ص ٦٩.

[29] زكي شنودة : تاريخ الأقباط، (القاهرة : جمعية التوفيق القبطي، ١٩٦٢)، ج١ ، ص١٥٩. انظر محمد أبو زهرة: محاضرات في النصرانية، (ط٣؛ القاهرة : دار الفكر العربي ، د.ت.)، ص ١٨٦- ١٨٨؛ أحمد شلبي: المسيحية (ط٣؛ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٧) ص ١٦٠- ١٦١.

[30] الأب جان كمبي: تاريخ الكنيسة ، ترجمة الأب أيوب زكي الفرنسسكاني وآخرون (بيروت : دار المشرق، د.ت) ج١ ص ١٢٧، الأنبا بيشوى: السجالات الكريستولوجية فى القرنين الرابع والخامس-www.metroplit bishoy.org/files/Christology/ar.doc. وهذا المقولة نقلت عن كتاب " التاريخ الكنسي " للمؤرخ المسيحي سقراط والذي عاصر أحداث مجمع إفسوس .

[31] ساويرس بن المقفع: تاريخ البطاركة ، تحقيق : الأنبا صموئيل (القاهرة : مطبعة النعام ، د.ت) ج١ ، ص ٦٠.

[32] نفس المصدر، ج١، ص ٦١.

إن المسيح إنسان فقط ، وأنه نبي لا غير، وقد جاء إلى العالم أنبياء كثير ولـم يُعبـد أحـد منهم..."

وبلا شك أفضت هذه الآراء إلى احتدام الجدل والعداء بين نسطور ومخالفيه لاسـيما كيرلس بطريرك الإسكندرية الذي صعَّد المعارضة ضده، الأمر الذي أدى في النهاية إلى عقـد مجمع في إفسوس عام٤٣١ م، وصدر فيه قرار بطرد نسطور وحرمانه ، لكن الكثيـرين مـن السريان لم يقبلوا قرارات هذا المجمع وانفصلوا عن الكنيسة الأرثوذكـسية وعـرف هـؤلاء المنشقون باسم " النساطرة "، وانبرت المدرسة المسيحية في " الـرها " مـركز السريانية إلى تعضيد ونصرة نسطور، وأضحت معقلا للمذهب النسطوري[٣٣]، بـل أهـم مركـز ثقـافي للنساطرة [٣٤]. وعلى هذا فالشام مثَّلت أحد أهم معاقل المذهب النسطوري ، ومنها انتقل هـذا المذهب إلى الكثير من البلدان لاسيما في المشرق[٣٥] . أما ما يرجح علاقة ورقة بـن نوفـل بالمذهب النسطوري فيتمثل في جملة شواهد :

أولا : أن بلاد الشام – معقل النسطورية – كانت الموطن الذي انتهت إليه رحلة ورقـة بن نوفل في البحث عن الحنيفية حتى استقر الحال به إلى اعتناق النصرانية ، كما جاء ذلك في رواية الطيالسي السابقة " **خرج ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو يطلبان الدين حتى مرا بالشام، فأما ورقة فتنصر...**"

ثانيا : استقرار عقيدة ورقة على التوحيد بعد اعتناقه للنصرانية[٣٦]، فالشام كما نوهنـا كانت هي الموطن الذي اعتنق به ورقة النصرانية ، ولمَّا كانت النسطورية ببلاد الـشام هـي المذهب الذي تبنى الاعتقاد ببشرية المسيح ونبذ ألوهيته، فمن المرجح أن يكون هذا المذهب هو الذي ارتضاه ورقة للإيمان بالنصرانية .

ثالثا : عامل اللغة ؛ ترجح من قبل أن اللغة السريانية كانت هي اللغة التي أتقنها وتعلمها ورقة ليتسنى له من خلالها الاتصال بالنصرانية ، هذا فضلا عن كونها اللغة التي دونت بهـا

---

[33] أوليري : علوم اليونان، ص ٦٩-٧١.

[٣٤] جواد علي : المفصل، ج٦ ، ص٦٢٧.

[35] انتقل المذهب النسطوري من الرها إلى نصيبين وسلوقية ، ثم انتشر في العراق لاسيما عـرب الحيـرة ، ثـم تسرب إلى البحرين وعمان واليمامة. انظر كذلك جواد علي: المفصل، ج٦ ، ص٦٢٩.

[٣٦] راجع تفصيل هذه المسألة ص ١١- ١٢.

أيضا نسخة الإنجيل التي كانت بحوزته[٣٧] ، ومعلوم أن السريان أصحاب هذه اللغة مثلوا قوام المذهب النسطوري في بلاد الشام قبل الإسلام .

إذن فالمستخلص من هذه القرائن أن ورقة بن نوفل اعتنق النصرانية على المذهب النسطوري المناهض لعقيدة التثليث وتأليه المسيح.

ثانيا : علاقة ورقة بن نوفل بالإسلام

نتحول بعد ذلك إلى القسم الثاني من الدراسة والذي يتمثل مطلبه في الكشف عن علاقة ورقة بن نوفل بالإسلام، وذلك من خلال معالجة ثلاث قضايا رئيسة:

الأولى : حقيقة علاقة ورقة بالنبي ﷺ قبل البعثة .

الثانية : تحديد التوقيت الزمني الذي توفي فيه ورقة بن نوفل .

الثالثة : التحقيق في مسألة إسلام ورقة وبيان أمر صحبته .

أما عن القضية الأولى والتي تبحث في علاقة ورقة بن نوفل بالنبي ﷺ قبل البعثة ، فتكمن أهميتها في كونها ستبين مدى مصداقية ما زعمه البعض من أن اتصال ورقة بالنبي ﷺ قد بدأ قبل بعثته لأجل إعداده بالمعارف المسيحية ليخلفه من بعده على أسقفية مكة[٣٨].

وواقع الأمر في هذا الشأن أنه لم يُعثر على نص واحد يثبت العلاقة بينهما على هذا النحو ، اللهم إلا إشارات في بعض النصوص ترشد إلى وجود مواقف طارئة جمعت بين ورقة والنبي ﷺ قبل البعثة.

أما عن الموقف الأول ، فرواه البلاذري [٣٩]من طريق أبي صالح أو عكرمة حيث روى " أن حليمة ظئر رسول الله ﷺ لما قدمت به من بلادها أضلته بأعلى مكة ، فوجده ورقة ابن نوفل ورجل آخر من قريش ، فأتيا عبد المطلب ، وقالا : هذا ابنك وجدناه متلددا بأعلى مكة .

---

[٣٧] راجع ذلك ص ٩ – ١٠.

[٣٨] أبو موسى الحريري: قس ونبي ttp://www.servant13.net/qis/warqa11.htm ، عزت أندراوس : النصرانية ،http://www.coptichistory.org/new_page_341.htm

[٣٩] أحمد بن يحي البلاذري : أنساب الأشراف ، تحقيق : محمد حميد الله (ط٣ ؛ القاهرة : دار المعارف ، د.ت)، ص٩٥ . وقد أورد بن إسحاق الرواية دون إسناد ، واكتفى فقط بقوله " وزعم الناس فيما يتحدثون " . انظر سيرة ابن هشام، ج١ ، ص١٦٧.

فسألناه من هو؟ فقال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فأتيناك به ، ولهذا نزل قـول الله تبارك وتعالى (ووجدك ضالا فهدى). [٤٠]

بيد أن هذه الرواية لا تصلح لإثبات هذا اللقاء ، لكون مصدرها[٤١] هشام بن الـسائب الكلبي وهو متروك الحديث[٤٢]. كما أنها من وجه آخر مرسلة لكونها موقوفة على عكرمـة أو أبي صالح فكلاهما لم يفصح عن المصدر الذي تلقيا عنه هذا الخبر. ناهيك عن أنه لم ينقل أحد من الثقات في كتب التفسير أن هذا الحادث كان من أسباب نزول قوله تعالى (ووجدك ضـالا فهدى) .

أما الموقف الثاني الذي جمع بين ورقة والنبي ﷺ فيتمثل في حفـل زواج النبـي مـن السيدة خديجة (رضي الله عنها) ، حيث كان من ضمن ما أورده الحلبي[٤٣] أن ورقة بن نوفـل خطب في الحضور بعد خطبة أبي طالب والتي أثنى فيها على النبي ﷺ وعمه ثم عقد القران . وقد عول بعض الدارسين[٤٤] على هذه الرواية في نسج أوهام وخيالات زعموا من خلالهـا أن ورقة عقد القران على الطريقة المسيحية باعتباره رئيسا لأسقفية مكة ، وليثبتوا كذلك من خلالها أن أهل مكة جميعا كانوا يدينون بالمسيحية .

إلا أنه تبين بعد فحص هذه الرواية أن صاحب السيرة الحلبية لم ينقلها بإسناد مقبـول ، هذا فضلا عن كونها لم تثبت في مصدر معتبر. أضف إلى ذلك أننا لو تأملنا نـص الروايـة سنلحظ أن ثمة اختلاف في تحديد شخص الوليّ الذي عقد قران الـسيدة خديجـة (رضـي الله عنها)، فتارة تذكر أن والدها خويلد هو من اضطلع بذلك ، وتارة تحيل ذلك إلى عمها عمـرو

---

40 الضحى / آية ٧

٤١ نقل البلاذري الرواية بإسناده الآتي : حدثني عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن أبي صـالح أو عكرمـة . أنساب الأشراف ص٩٥

٤٢ هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، قال عنه أحمد بن حنبل : ما ظننت أحدا يحدث عنه ، وقال الدارقطني وغيره : متروك الحديث، وقال ابن عساكر: رافضي. الذهبي : ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيـق علـى محمد البجاوي (بيروت: دار المعرفة ، د.ت.) ج٤ ، ص٣٠٤- ٣٠٥ .

43 انظر علي بن برهان الدين الحلبي : السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٠) ج١ ، ص٢٢٧.

٤٤ انظر أبو موسى الحريري : قـس ونبـي http://www.servant13.net/qis/warqa8.htm أنـدراوس : النصرانية ، http://www.coptichistory.org/new_page_341.htm

بن أسد. بل نقل الحلبي[٤٥] عن بعض أهل السير أن الأخير هو المجمع عليه في هـذا الأمـر وليس غيره بما فيهم ورقة.

أما عن الموقف الثالث ، فيتعلق بإرهاصات نزول الوحي على النبي ﷺ فـي مكـة ، والواقع أن جميع الروايات في هذا الشأن خرجت عن مصدر واحد وهو السيدة عائشة (رضي الله عنها) ، أما عن مضمون الرواية فيُعتمد نص البخاري[٤٦] والذي نقل فيـه عـن عائـشة (رضي الله عنها) أن خديجة (رضي الله عنها) لمَّا قص عليهـا النبـي ﷺ مـا جـرى لـه بالغار:"... انطلقت به حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي ، فيكتب من الإنجيل بالعربية مـا شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمي ، فقالت له خديجة : أي عم اسمع من ابن أخيك. قال ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقـة : هـذا الناموس الذي نزل على موسى يا ليتني فيها جذع ، يا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ : مخرجي هم ؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي " .

---

45 السيرة الحلبية، ج١ ، ص٢٢٤.

46 الجامع الصحيح، ج١، ص٤ ؛ ج٤ ،ص١٨٩٤؛ ج٦ ،ص٢٢٠ . انظر موضوع الرواية كذلك فـي صـحيح مسلم ج١ ص ، البيهقي : السنن، ج٧ ، ص ٥١ ؛ ج٩ ، ص١٤١؛ صحيح ابن حبـان ، تحقيـق : شـعيب الأرناؤوط (ط٢ ؛ بيروت مؤسسة الرسالة ، ١٤١٤/ ١٩٩٣) ج١، ص ٢١٨؛ الحـاكم : المـستدرك، ج٢ ، ص٢٠٢؛ ابن هشام : السيرة، ج١، ص ٢٣٧- ٢٣٨ ؛ أبو بشر محمد بن أحمد الدولابي: الذريـة الطـاهرة، تحقيق: سعد المبارك حسن (ط١؛ الكويت : الدار السلفية ، ١٤٠٧) ج١ ، ص٣٤- ٣٥؛ أبو نعيم الأصبهاني: المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم ، تحقيق: محمد حسن الشافعي (ط١ ؛ بيروت ، دار الكتب العلميـة، ١٩٩٦) ج١، ص٢٢٤؛ أبو عوانة : المسند ، تحقيق : أيمن عارف الدمشقي (ط١؛ بيروت : دار المعرفـة ، ١٩٩٨) ج١، ص١٠٣؛ ج٢، ص ١١١؛ الهيثمي : مجمع الزوائد (القاهرة – بيروت ، دار الريان للتـراث – دار الكتاب العربي، د.ت.) ج ٨، ص ٢٥٥؛ مصنف بن أبي شيبة ، تحقيق : كمـال يوسـف الحـوت (ط١، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٠٩) ج٧، ص ٣٢٩؛ مسند أحمد، ج١، ص ٣١٢؛ ج٦، ص٢٢٣- ٢٣٢؛ إسـحاق ابن راهويه : المسند، تحقيق: عبد الغفور البلوشي (ط١ ، المدينة المنورة ، مكتبة الإيمـان ، ١٤١٢/ ١٩٩١) ج٢ ، ص٣١٦ ؛ الشيباني : الأحاد والمثاني، ج١، ص٤٢٨؛ ج٥ ، ص١٣٨٦؛ المعجم الكبير للطبراني، ج٢٣، ص١٥. اللألكائي : اعتقاد أهل السنة ، تحقيق: أحمد سعد حمدان (الرياض : دار طيبـة ، ١٤٠٢)، ج٤ ، ص ٧٥٧؛ ابن مندة : الإيمان، تحقيق: علي الفقيهي (ط٢؛ بيـروت مؤسـسة الرسـالة ، ١٤٠٦) ج٢ ص ٦٩٠، ٦٩٢، ٦٩٤ .

وواقع الأمر أن هذا النص يثير قضية جد هامة ، وهي قضية اقتباس النبـــي ﷺ مـــن ورقة بن نوفل أصول وشريعة الإسلام . ولنعرض أولا لآراء بعض الدارسين في هذا الشأن ثم نتبعها بالمناقشة.

يقول (مونجمري وات)[47]:"... ومن الأسهل أن نفترض أن محمدا ﷺ كـــان علـــى صلة متتابعة بورقة بن نوفل منذ فترة مبكرة سابقة على الوحي. والأفكار الإســـلامية اللاحقـــة التي قد تكون اختلطت إلى حد كبير بأفكار ورقة ، كعلاقة الوحي الذي نزل علـــى محمـــد ﷺ بالوحي الذي نزل على موسى وعيسى ". وثمة زعم آخر طرح القضية على أنها حقيقة مسلمة، فذهب إلى أن كلا من القس ممثلا في ورقة بن نوفل ، والنبي محمد ﷺ قـــد لعـــب دورا فـــي صياغة هذا الدين (الإسلام) "...الأول أوحى وعلّم ودرّب وأرسى الدعائم . والثـــاني ســـمع وتعلم وشيد البنيان ، وفضل الأول على الثاني كفضل المربي على ربيبه . القس أستاذ علم فتى ذكي الفؤاد عرف اختياره ونجح ، والنبي تلميذ نجيب حفظ ما تعلم وأبدع . الأول نقل الكلمـــة الأعجمية إلى لسان عربي مبين ، والثاني بلغ كلمة الله العربية وتلاها على المؤمنين. كلاهمـــا عمل لأجل الله ، ولأجل أن يكون للأميين رسول وكتاب . فكان للعرب إله يعبـــدون ورســـول يتبعون وكتاب فيه يقرؤون "[48].

وقبل مناقشة هذه الآراء ينبغي الإشارة إلى أن السابقين من فقهاء الإسلام لـــم يجـــدوا حرجا في مناقشة مسألة إمكانية تعبد النبي ﷺ قبل البعثة بشرائع من سبقه من الأنبياء ، حيـــث أبدوا بشأنها آراء عديدة[49]، وإن استقر رأي الجمهور على أنه لا يجوز أن يجري على النبي

---

47 محمد في مكة، ترجمة، عبد الرحمن الشيخ (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢)، ص١٢١.

48 أبو موسى الحريري، قس ونبي http://www.servant13.net/qis/index.htm

49 نقل ابن حجر أقوالهم في هذه المسألة الأصولية ، فذكر بعضهم انطلاقا من قوله تعالى : " أولئك الذين هـــدى الله فبهداهم اقتده " فقيل أنه آدم وحكاه ابن برهان ، وقيل نوح وحكاه الأمدي ، وقيل إبراهيم وذهب إليه جماعـــة واستدلوا على ذلك بقوله تعالى (أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا) ، وقيل موسى ، وقيل عيسى ، وقيل كل شيء بلغه عن شرع نبي من الأنبياء وحجته (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده). غير أن ابن حجر رجح القول الثالـــث لما نقل عنه ﷺ ملازمته للحج والطواف ونحو ذلك مما بقي عندهم من شريعة إبراهيم . انظر : فـــتح البـــاري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: ابن باز (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة ، ب.ت) ج٨ ص ٧١٧ انظر كذلك ص ٢٩٥.

ﷺ سئل هذا الأمر، وافترضوا لو أن أمرا كهذا قد حدث لكشف عن طريق النقل، حيث لم يثبت ذلك بنص صريح معتمد[٥٠] .

أما عن الزعم بكون النبي ﷺ استقى أصول الإسلام من مصادر نصرانية فلم يكن وليد وقتنا الحاضر ، حيث إنها مقولة قديمة قدم هذه الرسالة ، فقد اتهمت قريش النبي ﷺ بأنه تلقى دينه عن بعض النصارى الموجودين بمكة ، وقد أكد القرآن نفسه ذلك في مقام تفنيده لهذا الزعم ، فيقول تعالى : (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين)[٥١]. وحديثا طالعنا من يجدد القول بهذا الزعم أو أقرب ، حيث يرى البعض من المستشرقين أن شرعة النبي ﷺ ، ليست إلا مزيجا منتخبا من أدبيات ومعارف دينية استقاها بمحض اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها[٥٢] ، ثم قام بتطويعها لتلبي حاجات شعبه[٥٣] .

غير أن الذي جاء به (مونجمري وات) وأبو موسى الحريري خلافا للسابقين في هذا الصدد ، أنهما لم يعيدا طرح نفس الاستدلال الذي بنى عليه أهل مكة فريتهم التي دحضها القرآن في الآية السابقة ، ولكنهما أعادا طرح ذات الفكرة من خلال دليل جديد وهو اللسان العربي ، فإذا كان القرآن قد رد فرية قريش بأن من جلس إليهم النبي ﷺ في مكة لم يكونوا من أصحاب اللسان العربي بل من أصحاب اللسان الأعجمي ، فإن هذا الاحتجاج لم يعد مقبولا في نفي تلقي الرسول ﷺ أصول دينه عن أهل الكتاب ، حيث إن المصدر الذي تلقى عنه هذه المرة – حسب زعمهما – عربي وليس أعجميا ، والمتجسد تحديدا في ورقة بن نوفل الذي " نقل

---

50 نفس المصدر ج٨ ص ٧١٧

51 النحل / آية ١٠٣

52 انظر جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الإسلام ، ترجمة: محمد يوسف وآخرين (ط٣؛ القاهرة : دار الكتب الحديثة ، د.ت)، ص١٢.

53 كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه فارس ومنير البعلبكي (ط٧؛ بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٧)، ص٦٨. هناك اتجاه آخر تبناه بلاشير حيث نزع فيه إلى القول بأن أصول الإسلام مستمدة من الأحناف الذين كانوا يقطنون مكة. ولكن من يتأمل أحوال الحنيفية بمكة وغيرها سيلحظ أن رؤيتهم كانت مضطربة وغير واضحة بشأن دين إبراهيم ، يؤكد ذلك دأبهم في الهجرة إلى البلدان بغرض التماس بعضا من شريعة هذا الدين الذي اندرست معالمه. R.Bachere, *Le probleme de Mahomot* (Paris, 1952), p. 36. ، راجع كذلك ص ٤– ٥.

كلمة الله الأعجمية إلى لسان عربي مبين "، ثم جاء دور تلميذه محمد ﷺ فـ" بلّغ كلمـــة الله العربية وتلاها على المؤمنين " .

إذن فلو سلمنا جدلا بصحة هذا الزعم ، فلم يعد من حائل يحول دون اتـــصال النبـــي محمد ﷺ بالمسيحية وشريعتها، إذ تهيأ له ﷺ هذا الأمر من خلال ورقة بن نوفل العربي وليس من قبل أصحاب اللسان الأعجمي .

والتساؤل المطروح الآن: ما مدى مصداقية هذا الزعم ؟

بعد استقصاء ما ورد في المظان والمصادر من مادة تاريخية تخص هذا الشأن ، لم يُعثر على إشارة واحدة تدل على أن ثمة اتصالا معرفيا من هذا النوع نشأ بين ورقة بن نوفـــل والنبي ﷺ قبل الإسلام ، ففي ضوء ما أتاحته هذه المصادر من نصوص يتسنى القول بأن ورقة لم يظهر بشكل جلي في حياة النبي ﷺ إلا مع بدايات نزول الوحي عليه حسبما بيَّنـــت روايـــة السيدة عائشة (رضي الله عنها) ، وعلى هذا فالقول بوجود علاقة روحية أو معرفية مثّل فيهـــا ورقة دور الأستاذ والنبي ﷺ دور التلميذ ، لا يستند إلى أصل تاريخي صحيح أو حتى ضعيف ، فكما تبين من قبل لم يثبت أن ورقة قام بأي محاولات للتبشير بالنصرانية في مكـــة. وعلـــى افتراض وجود علاقة بينهما على هذه الكيفية، أفلا يكون منطقيا أن تتنبه قريش لهذه العلاقـــة، بل لا تتوانى في أن تجعل ورقة على رأس النصارى الذين اتُهم بهم النبي ﷺ في كونـــه أخـــذ عنهم شريعة الإسلام حسب إشارة النص القرآني[٥٤]، حيث إن احتجاجهم بورقة سيكون أقـــوى من احتجاجهم بغيره من النصارى ذوي اللسان الأعجمي ، الأمر الذي يعني أن العلاقـــة بـــين ورقة والنبي ﷺ لم يكن لها وجود على هذه الكيفية المتخيلة ، ومن ثم فالزعم بوجودها لا يستند إلى برهان .

نتحول بعد ذلك إلى مناقشة القضية الثانية والمتعلقة بالتحديد التاريخي لوفاة ورقة بـــن نوفل ، وقد آثرنا مناقشتها قبل التعرض لقضية إسلامه وصحبته لاعتماد الثانية علـــى نتـــائج

---

[٥٤] ذكر القرطبي أسماء النصارى الذين كان يجلس إليهم النبيﷺ ليدعوهم للإسلام ، وادعت قريش بأن النبـــي ﷺ أخذ دينه عنهم ؛ فقيل أن اسمه يعيش عبد بني الحضرمي ، وقيل أبو ميسرة ، وقيل أوعابس غلام حويطب بـــن عبد العزى . ثم قال القرطبي :" والكل محتمل فإن النبي ربما جلس إليهم في روايات مختلفة ليعلمهم مـــا علمـــه الله". ويقول النحاس :" وهذه الأقوال ليست بمتناقضة ، لأنه يجوز أن يكونوا أومئوا إلى هؤلاء جميعا ، وزعموا أنهم يعلمّونه " . أنظر الجامع لأحكام القرآن (ط٢ ؛ دار الشعب ، ١٣٧٢)، ج١٠، ص١٧٧- ١٧٨.

الأولى. والحقيقة أن بعض المؤرخين خاضوا في هذه المسألة واختلفوا بشأنها ، وسبب الخلاف فيما يبدو ما وقع في السيرة النبوية لابن إسحاق[٥٥] عن عروة بن الزبير أن ورقة كان يمر ببلال والمشركون يعذبونه وهو يقول: أحد أحد فيقول : أحد والله يا بلال ، لئن قتلوك لاتخذت قبرك حنانا " . '

فقد انتقد ابن القيم هذه الرواية استنادا لقول عائشة (رضي الله عنها) في رواية البخاري " ثم لم ينشب ورقة أن توفي " أي توفي إبان فتور الوحي على النبي ﷺ ، كما استند كذلك إلى قول ورقة " **وإن أدركني يومك حيا لأنصرنك نصرا مؤزرا** " حيث رأى أنه لو كان حيا عند ابتداء الدعوة لكان أول من استجاب وقام بنصر النبي ﷺ كقيام عمر وحمزة[٥٦].

كما انتقد كذلك الذهبي[٥٧] رواية ابن إسحاق عن عروة وذكر أنها منكرة وعلق عليها بقوله :"...وهذا مرسل ، وورقة لو أدرك هذا لعُد من الصحابة ، وإنما مات الرجل في فترة الوحي بعد النبوة ، وقبل الرسالة كما في الصحيح..." وقال الذهبي[٥٨] في موضع آخر :" هذا ولم يعش ورقة إلى ذلك الوقت ". ويقول ابن كثير[٥٩] في هذه المسألة :" قلت: قد استشكل بعضهم هذا من جهة أن ورقة توفي بعد البعثة في فترة الوحي، وإسلام من أسلم إنما كان بعد نزول يا أيها المدثر، فكيف يمر ورقة ببلال وهو يعذب، وفيه نظر؟ "

غير أن ابن حجر[٦٠] لم يتماش مع هذا الاتجاه ، واختار اتجاها آخر عول فيه على التأويل والجمع بين رواية ابن إسحاق ورواية البخاري فذهب إلى أن "**ورقة إنما أراد بقوله: وإن أدركني يومك حيا أنصرنك اليوم الذي يخرجونك فيه، لأنه قال ذلك عنه عند قوله** " أو **مخرجي هم؟** " وتعذيب بلال كان بعد انتشار الدعوة، وبين ذلك وبين إخراج المسلمين من مكة إلى الحبشة ثم للمدينة مدة متطاولة " . وقد أكد هذا الرأي في (الإصابة) بقوله: " والجمع بين

---

[55] سيرة ابن هشام، ج٢ ، ص١٥٩.

[56] فتح الباري، ج٨ ، ص٧٢١ .

[57] سير أعلام النبلاء، ج١، ص١٢٩.

[58] نفس المصدر، ج١، ص٣٥٢.

[59] البداية والنهاية، (بيروت مكتبة المعارف ، د.ت.)، ج٣، ص ٨٥.

[60] الإصابة، ج٣، ص ٦٣٣- ٦٣٥ .

هذا – أي رواية ابن إسحاق – وبين حديث عائشة (رضي الله عنها) أن يحمل قولـــه:" ولـــم ينشب أن توفيْ ورقة قبل أن يشتهر الإسلام ويؤمر النبي ﷺ بالجهاد "[٦١] .

لكن ابن حجر[٦٢] يعودِ وينقل ما يفت في مصداقية هذا الجمع فيقول :" ولكن يعكر ذلك ما أخرجه محمد بن عائذ في المغازي من طريق عثمان بن عطاء الخرساني عن أبيـــه عـــن عكرمة عن ابن عباس في قصة ابتداء الوحي ، وفيها قصة خديجة (رضي الله عنها) مع ورقة بنحو حديث عائشة (رضي الله عنها) وفي آخرها " لئن كان هو ثم أظهر دعاءه وأنا حيّ لأبلين الله من نفسي في طاعة رسوله وحسن مؤازرته ، فمات ورقة على نصرانيته كذا قال ، لكـــن عثمانْ ضعيف ". إذن فابن حجر عاد ليؤكد أن فكرة الجمع لم تحسم إثبات هذه المسألة بـــشكل نهائي .

ولكن ما نطمئن إليه بشأن ما طرح من مقولات ، هو صحة الرأي الأول الـــذي تبنـــاه بعض المؤرخين ؛ وهو أن ورقة لم يكن حيا عند ابتداء الدعوة ، لأن رواية البخاري تنطـــوي على عبارة حاسمة لهذا النزاع لصالح أصحاب هذا الرأي وهي " **ثم لم ينشب ورقة أن تـــوفي وفتر الوحي**"، فالشاهد من هذه العبارة أن الفترة التي توفي فيها ورقة كانت متزامنة مع فتـــور الوحي وليست بعد البعثة ، وهذا دليل أقوى من استدلال ابن حجر القائم على محاولة الجمـــع والتوفيق بين رواية البخاري ورواية ابن إسحاق المرسلة من خلال عبارة ليست قاطعـــة فـــي الدلالة بل خاضعة للتأويل .

أضف إلى ذلك أن عملية الجمع التي أجراها ابن حجر مخالفة لما اشترطه هو نفـــسه حال إجراء الجمع بين الروايات المتعارضة ، حيث اشترط لحصوله أن تتحقق المماثلـــة فـــي القوة بين الحديثين المتعارضين[٦٣] ، وهذا الشرط غير متوافر في الروايات المتعارضة بـــشأن مسألة التحديد الزمني لوفاة ورقة ، لكون رواية البخاري متصلة وصحيحة سندا ومتنا ، ورواية ابن إسحاق مرسلة ومن ثم فالأخيرة ليست مماثلة للأولى في القوة بل أدنى منها .

يضاف إلى ذلك أيضا أنه وردت في بعض الروايات الصحيحة زيادة ذكرت أنه فـــي فترة فتور الوحي ضاقت نفس النبي ﷺ حتى همّ أن يلقي بنفسه من فوق قمم الجبال لشدة وجده

---

[61] ابن حجر : الإصابة، ج٣، ص ٦٣٤.

[62] نفســـه، ج٣ ، ص ٦٣٤.

[63] انظر ابن حجر : نزهة النظر، (مكة : المكتبة العلمية ، د.ت.)، ص ٣٧.

وحزنه[٦٤]، ولعل منطق الأحداث يقول : كان مفترضا والنبي ﷺ وهو على هذه الحال أن يلجأ مرة أخرى إلى ورقة الذي بشره بأمر النبوة ليفسر له علة هذا الفتور أو على الأقل يسرّى عنه ويهدىء من روعه ، فهو الأقدر من غيره على أداء هذه المهمة ، غير أنه لا يوجد ذكر لورقة في نص صحيح بعد اللقاء الذي جمع بينه وبين خديجة (رضي الله عنهـا) والنبـي ﷺ ، بـل الثابت أنه فارق الحياة في هذه الفترة كما أشارت رواية عائشة في نص البخاري .

وإذا ما افتُرض جدلا أن ورقة ظل حيّا إلى أن شاهد تعذيب بلال – والذي حـدد ابـن الجوزي[٦٥] توقيت حدوثه في العام الرابع من النبوة – لما التبس أمر إسلامه على الـصحابة ومنهم السيدة خديجة (رضي الله عنها) نفسها وهي من أكثر الناس معرفة بحاله ، فقد أخـرج الترمذي[٦٦] من حديث أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) قالت للنبي ﷺ لمَّـا سُـئل عـن ورقة: " إن ورقة صدقك ، ولكنه مات قبل أن تظهر ، فقال رأيته في المنام وعليه ثياب بيض، ولو كان من أهل النار لكان لباسه غير ذلك " .

---

[64] صحيح البخاري، ج٦، ص٢٥٦١، صحيح ابن حبان، ج١ ، ص ٢١٨- ٢١٩ . وفي شأن هذه الجزئية مـن الرواية عول أكرم العمري على رأي ابن حجر في أنها من بلاغات الزهري غير الموصولة وعلى هـذا ذهـب إلى القول بضعف سندها . بل ذهب إلى تضعيف متنها استنادا لكونه يتعارض مع عصمة النبي ﷺ . والواقع أنه بالرغم من أن ابن حجر اعتمد هذا الرأي فإنه نقل رأيا آخر له وجاهته في هذه المسألة وهـو رأي الكرمـاني، حيث ذهب إلى احتمال بلاغ الزهري على أن الرواية بلغته بالإسناد المذكور..عن عروة عن عائشة (رضي الله عنها) ، كما ذكر أن الرواية وردت عند ابن مردويه في التفسير مسقطة من قـول الزهـري " فيمـا بلغنـا ". والظاهر أن البخاري جمع الإسنادين في مقام واحد ثم دمج متن كل منهما في سياق واحد ، فصار كله مـدرجا على رواية الزهري عن عروة عن عائشة (رضي الله عنها) ، مما يعني أنه كان مطمئنا لصحة هذا المتن ، ولو كان الأمر خلاف ذلك لكان الأجدى به استبعاد هذه الزيادة عن السياق وجعلها في سياق منفـصل . أمـا عـن التذرع بتناقض مضمون هذه الزيادة مع ما كان عليه النبي ﷺ من عصمة ، فقول فيه نظر ، لأن مفهوم العصمة لا يعني تنزيه الأنبياء عن الوقوع في الأخطاء بالكلية خاصة قبل بعثهم بالرسالات ، بل ربمـا يـصيب النبـي بعضها بعد بعثته ولكن الله لا يتركه مقيما على هذا الخطأ بل يرشده إلى الصواب وهنا تكمن العصمة، والأمثلـة على ذلك عديدة وظاهرة في سيرة النبي ﷺ، بل إن ابن حجر وكذا الإسماعيلي قدما تأويلا جيدا بصدد ما ورد عن محاولة تهاوي الرسول ﷺ بنفسه من قمم الجبال لما فتر عنه الوحي، ولم يرفضا الروايـة بالكليـة بحجـة تناقضها مع عصمة النبي ﷺ . انظر فتح الباري ج١٢ ص ٣٥٩- ٣٦١ ، أكرم ضياء العمري: السيرة النبويـة الصحيحة، (ط١؛ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦- ١٩٩٥)، ج١، ص١٢٦- ١٢٧.

[65] المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق : محمد ومصطفى عبد القادر عطا (ط١؛ بيروت دار الكتب العلميـة، ١٤١٢- ١٩٩٢)، ج٢، ص ٣٧٢.

[66] راجع سنن الترمذي، تحقيق : أحمد شاكر وآخرون (بيروت: دار إحياء التراث العربـي ، ب.ت)، ج٤، ص ٥٤٠.

إذن فخلاصة القول ، أن ورقة بن نوفل توفي إثر فترة فتور الوحي عـن النبـي ﷺ ، وليس بعد بعثته ﷺ كما ذهب البعض .

ننتقل بعد ذلك إلى المحور الثالث والمتعلق بقضية إسلام ورقه وحقيقة صحبته، وفـي هذا الشأن يبرز خلاف بين المؤرخين ؛ فقد أنكر الذهبي[٦٧] صحبته استنادا إلى أنه مات " في فترة الوحي بعد النبوة وقبل الرسالة ". كما رفض ابن كثير[٦٨] إسلامه بحجة " أن ورقة توفي بعد البعثة في فترة الوحي ، وإسلام من أسلم إنما كان بعد نزول يا أيها المدثر ". بينما نقل ابن حجر[٦٩] عن محمد بن عائذ القرشي أن ورقة مات على نصرانيته .

وفي المقابل عده ابن قانع في عداد الصحابة[٧٠]، وكذا الطبري، والبغوي وغيـرهم[٧١]. وذكر ابن حجر[٧٢] أن مستندهم في ذلك ما ورد عن روح بن مسافر – أحد الضعفاء – عـن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن ورقة بن نوفل قـال : قلت : يا محمد كيف يأتيك الذي يأتيك . قال يأتيني من السماء جناحاه لؤلـؤ وبـاطن قدميـه أخضر، قال ابن عساكر : لم يسمع ابن عباس من ورقة ، ولا أعرف أحدا قال إنه أسلم . وهذا ظاهر في أنه أقر بنبوته ولكنه مات قبل أن يدعو رسول الله ﷺ الناس إلى الإسلام ، فيكون مثل بحيرا ، وفي إثبات الصحبة له نظر. ولكن ابن حجر حاول إثبات صـحبته بتواجـده بعـد أن نهض الرسول ﷺ بالدعوة وتبليغ الرسالة ، وذلك استنادا إلى رواية ابن إسحاق المرسلة عـن عروة بشأن شهوده لتعذيب بلال بمكة ، غير أن هذا الاستدلال نُوقش في مقام سـابق وتبـين ضعفه من وجوه عدة [٧٣] .

والواقع إذا ما فُحصت الآراء التي عارضت اعتماد ورقة في عداد الصحابة ، سـيُلحظ أن وجه اعتراضها كان منطلقا من كون ورقة توفي قبل أن يُؤمر النبي ﷺ بتبليغ الرسالة وذلك

---

[67] سير أعلام النبلاء، ج١ ، ص١٢٩.

[68] انظر تفصيل رأي الذهبي وابن كثير، ص ١٧– ١٨.

[69] انظر، ص ١٨.

[70] انظر، معجم الصحابة ، تحقيق: صلاح سالم المصراتي (ط١ ؛ المدينة المنورة : مكتبة الغربـاء الأثريـة ، ١٤١٨)، ج٣، ص ١٨١.

[71] الإصابة، ج٣ ، ص ٦٣٣.

[72] نفس المصدر، ج٣، ٦٣٣– ٦٣٤.

[73] انظر تفصيل هذه المسألة، ص ٢٦– ٣٠.

بنزول قوله تعالى (يا أيها المدثر، قم فأنذر)[٧٤]، ولهذا فإسلام الصحابة جاء بعد نزول هذه الآية، وعلى هذا الأساس استبعدت هذه الآراء ورقة من طبقة الصحابة. ولهذا حاول ابن حجر أن يثبت وجود ورقة معاصرا لفترة تبليغ الرسالة ليجعله بذلك في عداد الصحابة وليصحح القول بأنه مات على الإسلام .

ولكن لو تأملنا هذه القرينة التي على أساسها استبعد بعض المؤرخين ورقة من عداد الصحابة ، سنجدها ليست معيارا موضوعيا لإثبات أمر الصحبة من عدمه ، لأنه إذا ما جئنا لتطبيق شرط ابن حجر نفسه في إثبات أمر الصحبة[٧٥]، سنجده محققا في ورقة لكونه آمن بنبوة النبي ﷺ ومات مؤمنا برسالته وإن لم يدركها زمانا . وليس أدل على إيمانه بالرسالة من رواية السيدة عائشة (رضي الله عنها) بشأن نزول الوحي ، والشاهد منها على ذلك قول السيدة خديجة(رضي الله عنها) :"... فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل على موسى يا ليتني فيها جذع ، يا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ : مخرجي هم ؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ..."

وإذا ما أُعمل النظر في النص سيُلحظ أن إسلام ورقة كان قائما على الإيمان بأمر النبوة والرسالة معا ، ويدلل على ذلك استشهاده بنموذج موسى بن عمران عليه السلام في سياق الحوار لما بدا له من التقارب بين حال موسى عليه السلام وبين حال النبي محمد ﷺ في أمرين ، الأول : نزول الناموس أو الوحي على النبي ﷺ مثلما نزل من قبله على موسى وكل أصحاب الرسالات. أما الأمر الثاني فمبني على الأول ؛ ويتمثل في تبعات النهوض بتبليغ الرسالة ، فإذا كان الناموس أمرا مشتركا بين موسى ومحمد عليهما السلام ،فحال النبي ﷺ سيكون إذن كحال موسى من حيث كونه نبيا مرسلا[٧٦] ، وعلى هذا فقياسا من ورقة بما جرى

---

[74] المدثر / آيات ١- ٢.

[75] يقول ابن حجر :" وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمنا به ومات على الإسلام، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت ، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ، ومن لم يره لعرض كالعمى..." الإصابة، ج١، ص٢.

[76] ثمة فارق جوهري بين النبوة والرسالة ، فالرسول في اللغة من بعث برسالة ، يقال أرسله بكذا إذا طلب إليه تبليغه ، وفي لسان الشرع إنسان ذكر حر أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه ، أما من أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبي وليس برسول . وعلى هذا فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا. انظر : محمد خليل هراس: شرح

لموسى وبني إسرائيل في مصر من اضطهاد وشتات له ولقومه ، فقد جاءت نبوءته للنبـــي ﷺ بكونه سيلقى هو أتباعه نفس المصير من قومه بمكة ، ولهذا تمنى لو كان حيا لينصر النبي ﷺ في هذا اليوم، وهذا دليل صريح وظاهر على إيمانه برسالته وإن لم يشهد زمانها .

وقد يقول قائل لماذا ترك ورقة الاستشهاد بعيسي عليه السلام على اعتبار أنه جـــاء متأخرا عن موسى ، فضلا عن كونه مسيحيا ؟ ، يجيب ابن كثير[٧٧] عن ذلك بقولـــه :" ولـــم يذكر عيسى وإن كان متأخرا بعد موسى ، لأنه كانت شريعته متممة ومكملة لـشريعة موســـى عليهما السلام . ونسخت بعضها في الصحيح من قول العلماء كما قال تعالى : (ولأحـــل لكـــم بعض الذي حرم عليكم)".

إذن فحديث عائشة (رضي الله عنها) كما قال ابن مندة :" ظاهر في إســـلامه وإتباعـــه وتصديقه "[٧٨] ، بل ذهب الحافظ العراقي إلى أنه " ينبغي أن يقال أن أول من آمن من الرجال ورقة ابن نوفل ، لحديث الصحيحين في بدء الوحي "[٧٩] .

وثمة شواهد أخرى تدعم ما ذهبت إليه رواية عائشة (رضي الله عنها) من أن ورقـــة كان مؤمنا برسالة النبي ﷺ منها : ما رواه ابن سعد مرسلا من طريق عروة من أن ورقة قال لخديجة (رضي الله عنها) حين أخبرته بما جرى للنبي ﷺ في الغار :" إن يـــك صـــادقا فهـــذا ناموس مثل ناموس موسى فإن يبعث وأنا حي فسأعززه وأنصره وأومن به "[٨٠] . ومنها أيضا ما قاله ابن حجر[٨١] من أنه :" وقع في مرسلٰ أبي ميسرة أن ورقة قال للنبي ﷺ : أبشر فأنـــا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم ، وأنك على مثل ناموس موسى ، وأنك نبي مرسل ، وأنـــك ستأمر بالجهاد ". أضف إلى ذلك ما ورد من أحاديث في فضائل ورقة وتبشير الرسول ﷺ لـــه بالجنة ؛ منها حديث عائشة (رضي الله عنها) أن النبي ﷺ قال : " لا تسبوا ورقة فإني رأيت له

العقيدة الوسطية لابن تيمية، مراجعة عبد الرازق عفيفي (ط٤؛ المدينة المنورة : مطبوعات الجامعة الإسلامية ، د.ت.) ص ٨- ٩، ١٧.

77 البداية والنهاية، ج٣، ص٨.

78 تهذيب الأسماء، ج٢، ص ٤٤١.

79 عبد الرحمن السيوطي: تدريب الراوي ، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، د.ت.)، ج ٢، ص ٢٢٨.

80 محمد بن سعد: الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر، ب.ت) ج١ ص١٩٥.

81 فتح الباري، ج ٨، ص ٧٢٠.

جنة أو جنتين " رواه البزار متصلا ومسندا . وعنها أيضا أن خديجة (رضي الله عنها) عنهـا سألت النبي ﷺ عن ورقة فقال :" قد رأيته في المنام على ثياب بياض، فأحسب لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض "[٨٢] وعن أسماء بنت أبي بكر أن النبي ﷺ سئل عـن ورقـة ، فقال :" يبعث أمة وحده " [٨٣].

إذن يتسنى القول أن إيمان ورقة لم يقتصر على أمر النبوة ، بل تجاوز ذلك إلى الإيمان برسالته ، وإن لم يشهد هذا اليوم ، ومن ثم لقي ورقة النبي ﷺ مسلما ومات مؤمنا برسـالته ، وعلى هذا فلا يصح رأي من ذهب إلى أن ورقة مات على نصرانيته ، ولا يستقيم قول مـن عارض عداده في الصحابة استنادا لكونه لم يشهد فترة تبليغ الرسالة .

وفي النهاية تسنى للدراسة أن تخرج بالنتائج الآتية :

أولا: الوقوف على الأبعاد الحقيقية للمادة المصدرية الخاصة بشخصية ورقة بن نوفل، حيث تتبين أنها تتسم بالندرة .

ثانيا : بيَّنت الدراسة أن ورقة – بعد كفره بالوثنية – بدأ باحثـا بـين الأديـان عـن الحنيفية، ثم انتهى به الأمر إلى اعتناقه للنصرانية.

ثالثا : ترجح أن ورقة تعلَّم السريانية ببلاد الشام ، ومن خلالهـا جـاء تبحـره فـي النصرانية وآدابها .

رابعا : ترجح أيضا من خلال القرائن أن ورقـة اعتنـق النـصرانية علـى المـذهب النسطوري، وليس على مذهب التثليث .

خامسا : رجحت الدراسة كذلك أن الإنجيل الذي كان بحوزة ورقة كان مكتوبا باللغة السريانية ، وأنه كان يترجم عنه إلى العربية وليست العبرية كما ورد في بعض الروايات .

سابعا : أوضحت الدراسة أن ورقة كان على دراية بالعبرية ، ومن خلالها تسنى لـه البحث في اليهودية وإن لم يعتنقها ديانة .

ثامنا : تم البرهان على أنه لم يكن هناك أية علاقة دينية بين ورقة والنبي ﷺ لعب فيها الأول دور الأستاذ ومثَّل فيها الثاني دور التلميذ ، ومن ثم فما ادعاه بعض الدارسين من وجود

---

[82] مسند أحمد، ج٦، ص ٦٥.

[83] قال عنه الهيثمي : رجاله رجال الصحيح . انظر مجمع الزوائد، ج٩، ص ٤١٦؛ المعجم الكبيـر للطبرانـي ج٢٤، ص ٨٢.

هذه العلاقة وما استخلصوه من نتائج ذهبت إلى أن النبي ﷺ استقى أصول الإسلام من المسيحية هو ادعاء لا يستند إلى دليل .

تاسعا : برهنت الدراسة أيضا على أن وفاة ورقة وقعت إبان فتور الوحي عن النبي ﷺ، وأنه لم يشهد الفترة التي أمر فيها النبي ﷺ بتبليغ الدعوة حسبما زعمت بعض الآراء.

عاشرا : أثبتت الدراسة أن ورقة مات مؤمنا برسالة النبي ﷺ ، وأنه بحيثيات هذا الإيمان يندرج في طبقة الصحابة ، ومن ثم فهو بهذا الإيمان تابع للرسول ﷺ وليس العكس .

ثبت المصادر والمراجع

أولا المصادر العربية:

القرآن الكريم

كتاب العهد القديم

الأصبهاني (إسماعيل بن محمد بن الفضل)

دلائل النبوة ، تحقيق: محمد الحداد، ط١ (الرياض: دار طيبة ، ١٤٠٩) ج١، ص٨١.

البخاري (محمد بن إسماعيل البخاري)

صحيح البخاري ، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط٣ (بيروت: دار ابن كثير ، ١٤٠٧/١٩٨٧)

البلاذري (أحمد بن يحي البلاذري)

أنساب الأشراف ، تحقيق : محمد حميد الله، ط٣ (القاهرة : دار المعارف ، د.ت)

البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي)

السنن الكبرى (مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، ١٤١٤/ ١٩٩٤)

الترمذي (محمد بن عيسى الترمذي)

سنن الترمذي ، تحقيق : أحمد شاكر وآخرون (. بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ب.ت)

ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي)

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق : محمد ومصطفى عبد القادر عطا، ط١ (بيروت دار الكتب العلمية ، ١٤١٢- ١٩٩٢)

الحاكم (أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم)

المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١١/ ١٩٩٠)

ابن حبان (أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي)

صحيح ابن حبان ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، ط٢ (بيروت مؤسسة الرسالة ، ١٤١٤/ ١٩٩٣)

ابن حجر (أحمد بن حجر العسقلاني)

-الإصابة في تمييز الصحابة (بيروت: دار إحياء التراث العربي ، ١٣٢٨)

-فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: ابن باز (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة ، د.ت)

-نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (مكة : المكتبة العلمية ، د.ت.)

الحلبي (علي بن برهان الدين الحلبي)
السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٠)
ابن حنبل (أحمد بن حنبل الشيباني)
المسند (القاهرة: مؤسسة قرطبة، د.ت)
الدولابي (أبو بشر محمد بن أحمد الدولابي)
الذرية الطاهرة، تحقيق سعد المبارك حسن، ط١ (الكويت : الدار السلفية ، ١٤٠٧)
الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي)
-سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي، ط٩ (بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤١٣)
-ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق على محمد البجاوي (بيروت: دار المعرفة ، د.ت)
ابن راهويه (إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه)
المسند ، تحقيق عبد الغفور البلوشي، ط١ (المدينة المنورة ، مكتبة الإيمان ، ١٤١٢/ ١٩٩١)
الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي)
الإصابة فيما استدركته السيدة عائشة (رضي الله عنها) على الصحابة ، تحقيق : سعيد الأفغاني، ط٣ (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٠/١٩٨٠) .
ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الزهري)
الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر، د.ت.)
السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر)
تدريب الراوي ، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة ، د.ت)
الشيباني (أبو بكر أحمد بن عمرو الضحاك)
الآحاد والمثاني، تحقيق: جاسم الجوابرة، ط١ (الرياض : دار الراية ١٩٩١ – ١٤١١،)
ابن أبي شيبة (أبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة)
مصنف ابن أبي شيبة ، تحقيق : كمال يوسف الحوت، ط١ (الرياض: مكتبة الرشد ،١٤٠٩)
الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني)
المعجم الكبير ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢ (الموصل : مكتبة العلوم والحكم ، ١٤٠٤/ ١٩٨٣)
الطبري (محمد بن جرير الطبري)
تاريخ الرسل والملوك، ط١ (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧)

الطيالسي (أبو داود سليمان بن داود البصري الطيالسي)
المسند (بيروت: دار المعرفة، د.ت.)
أبو عوانة (يعقوب بن إسحاق الإسفراييني)
المسند، تحقيق: أيمن عارف الدمشقي، ط١ (بيروت : دار المعرفة ، ١٩٩٨)
ابن قانع (أبو الحسين عبد الباقي بن قانع)
معجم الصحابة ، تحقيق: صلاح سالم المصراتي، ط١ (ط١ ؛ المدينة المنورة : مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٨)
القرطبي (محمد بن أبي بكر القرطبي)
الجامع لأحكام القرآن، ط٢ (دار الشعب ، ١٣٧٢)
ابن كثير (عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن عمر القرشي)
البداية والنهاية (بيروت مكتبة المعارف ، د.ت.)
تفسير القرآن العظيم، ط١ (القاهرة: دار الريان للتراث، ١٤٠٨/١٩٨٨)
اللألكائي (أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي)
اعتقاد أهل السنة ، تحقيق أحمد سعد حمدان (الرياض : دار طيبة ، ١٤٠٢)
مسلم (مسلم بن حجاج القشيري)
صحيح مسلم ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د.ت.)
المقدسي (محمد بن عبد الواحد المقدسي)
الأحاديث المختارة ، تحقيق عبد الملك الدويش، ط١ (مكتبة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٤١٠)
ابن المقفع (ساويرس بن المقفع)
تاريخ البطاركة ، تحقيق : الأنبا صموئيل (القاهرة : مطبعة النعام ، د.ت.)
المناوي (عبد الرؤف المناوي)
فيض القدير، ط١ (مصر : المكتبة التجارية ، د.ت.) ج٦.
ابن مندة (محمد بن إسحاق بن يحيى)
الإيمان ، تحقيق: علي الفقيهي، ط٢ (بيروت مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦)
أبو نعيم (أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني)
المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم ، تحقيق: محمد حسن الشافعي، ط١ (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٦)
النووي (يحي بن شرف النووي)

صحيح مسلم بشرح النووي، ط٢ (بيروت: دار إحياء التراث العربي،١٣٩٢)
ابن هشام (عبد الملك بن هشام الحميري)
السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (القاهرة : مطبعة مصطفى البـــابي الحلبـــي، د.ت.)
الهيثمي (على بن أبي بكر الهيثمي)
مجمع الزوائد (القاهرة – بيروت ، دار الريان للتراث – دار الكتاب العربي ، د.ت.)
اليعقوبي: (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر)
تاريخ اليعقوبي (بيروت : دار صادر ، د.ت.)

ثانيا: المراجع العربية والمعربة:

أحمد شلبي:
المسيحية، ط٣ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٧)
إسرائيل ولفنسون:
تاريخ اليهودية في الجاهلية وصدر الإسلام، ط٢ (القاهرة : لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٢٧)
أكرم ضياء العمري:
السيرة النبوية الصحيحة، ط١ (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦/ ١٩٩٥)
الأنبا بيشوى:
السجالات الكريستولوجية فى القرنين الرابع والخامس
www.metroplit-bishoy.org/files/Christology/ar.doc
حسين مؤنس:
دراسات في السيرة النبوية، ط٢ (القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ، ١٩٨٥)
الأب جان كميي:
تاريخ الكنيسة ، ترجمة الأب أيوب زكي الفرنسسكاني وآخرين (بيروت : دار المشرق، د.ت)
دراسات في السيرة النبوية، ط٢ (القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ، ١٩٨٥)
جواد علي:
المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بغداد : منشورات الشريف الرضي ، د.ت)
جولد تسيهر :
العقيدة والشريعة في الإسلام ، ترجمة: محمد يوسف وآخـرين، ط٣ (ط٣؛ القـــاهرة : دار الكتب الحديثة ، د.ت.)

ديلاسي أوليري :

علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب ، ترجمة وهيب كامل ، مراجعة زكي علي (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢)

زكي شنودة :

تاريخ الأقباط (القاهرة : جمعية التوفيق القبطي، ١٩٦٢)

زياد منى :

الإبيونيون وورقة بن نوفل (بيروت : دار قدمس للتوزيع والنشر ، ٢٠٠١)

عزت أندراوس:

النصرانية في الجزيرة العربية

http://www.coptichistory.org/new_page_341.htm

محمد والعقيدة الإبيونية

http://www.coptichistory.org/new_page_347.htm

كارل بروكلمان :

تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي. ط٧ (بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٧٧)

لخضر الشايب :

نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، ط١ (الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤٢٢/ ٢٠٠٢)

أبو موسى الحريري :

قس ونبي

http://www.servant13.net/qis/warqa1.htm

محمد خليل هراس:

شرح العقيدة الوسطية لابن تيمية ، مراجعة عبد الرازق عفيفي، ط٤ (المدينة المنورة : مطبوعات الجامعة الإسلامية ، د.ت.)

محمد أبو زهرة :

محاضرات في النصرانية، ط٣ (القاهرة : دار الفكر العربي ، د.ت.)

مونجمري وات:

محمد في مكة، ترجمة : عبد الرحمن الشيخ (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢)

ول ديورانت:

قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١)

ثالثا: المراجع الأجنبية:

H. Lammens *Étude sur régne du calife Omayade Moawia I^er^. Mélanges de la faculté de Beyrouth.*

R. Bachere: *Le probleme de Mahomot* (Paris, 1952)